بسم الله الرحمن الرحيم

جدد إيمانَكَ بالله مع أساسيات الدين الإسلامي

إعداد:خالد المغربي – فلسطين – القدس – المسجد الأقصى

www.al-msjd-alaqsa.com

تاريخ الطباعة: 02 جمادي الثانية 1429 هجري

تدبر القرآن الكريم وتفسيره – الحلقة الرابعة

الظاهر والباطن في آيات القرآن الكريم

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل آية منها ظهر وبطن، ولكل حد ومطلع)، فعندما نقرأ القرآن الكريم، تمر بنا آيات لها معنى في الظاهر، ولكن هذا المعنى الظاهري لا يتفق بل أحياناً يختلف وأحياناً يتعارض مع ما نعرفه عن الله وأسمائه وصفاته، مثال واضح على هذا التعارض، في قوله عز وجل في سورة التوبة 9 – آية 67 (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)، ففي هذه الآيات ينسب الله عز وجل لنفسه النسيان، وهذا كما هو معروف عند كل واحدٍ منا غير معقول ولا مقبول، حتى أنه عز وجل يقول في سورة طه 20 – آية 52 (قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى)، ويقول في سورة مريم 19 – آية 64 (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا)، فهو عز وجل يترفع عن النسيان، ولو أنه كان ينسى لكان له في هذه الصفة السلبية ما ينفي عنه الألوهية، لذلك فإن الظاهر في الآية (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ) لا بد له من باطن يحمل معناً غير المعنى الظاهر، وهذا المعنى الباطني الحقيقي لا يتنافى مع ما نعرفه لله من أسماء ومعاني وصفات، لنعد للآية مرة أخرى ونقرأها كلها (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ

مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)، الكلام عن (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ)، وعملهم (يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ)، وهذا العمل كله سوء وكله معصية، والمعاصي تبعد العاصي عن ربه، فرحمة الله واسعة وسعت كل شيء، وعندما خلق الله عباده خلقهم ووضعهم داخل دائرة الرحمة، ولكن عندما يعصي العبد ربه فكأنه يبدأ بالإبتعاد عن مركز الرحمة وكلما إبتعد قلّت هذه الرحمة حتى يخرج من الدائرة كلها، السؤال: من الذي تحرك؟ من الذي إبتعد؟ من الذي أخرج نفسه من الدائرة؟ العبد هو الذي تحرك مبتعداً عن الرحمة، وهذا يتضح في قوله عز وجل (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)، أي هم الذين إنشقوا وإبتعدوا وخرجوا من دائرة الذاكرة، فكان خروجهم من ذاكرة الله بعملهم السيء وبمعصيتهم.

لماذا ينسب عز وجل لنفسه الأمور الظاهرية

السؤال المهم الذي يتبادر على أنفسنا، هو (لماذا ينسب الله عز وجل لنفسه أمور يفعلها البشر؟)، مع أن هذه الأمور تمثل صفات سلبية لا تليق بالله عز وجل. والجواب نجده في آيات الله، لنقرأ بعض الآيات ثم نتكلم، يقول عز وجل في سورة آل عمران 3 – آية 7 (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)، يقول عز وجل في سورة النساء 4 – آية 78 (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا)، ويقول عز وجل

في سورة البلد 90 – آية 10 (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)، ويقول عز وجل في سورة التكوير 81 – آية 29 (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)، ويقول عز وجل في سورة الصافات 37 – آية 96 (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) لاحظ الآتي:-

- من آيات القرآن الكريم ما هو محكم ومنها ما هو متشابه، والمحكم يمكن تفسيره على الظاهر ولا يختلف فيه إثنان، أما المتشابه فلا يمكن تفسيره على الظاهر، ولكن نحتاج لتفسيره تفسيراً آخر يكون صحيحاً ولا يتعارض مع باقي القرآن الكريم وهذا هو التفسير الباطني.
- كل شيء من عند الله (المتشابه والمحكم) من عند الله، (الموت والحياة) من عند الله، (الخير والشر) من عند الله، (الصواب والخطأ) من عند الله، (الحلال والحرام) من عند الله، كل شيء من عند الله، المهم أن نفهم أن الله لا يجبرك على الخبيث أو الخطأ أو الحرام أنت الذي يختاره.
- من يفسر المتشابه بطريقة خاطئة في قلبه زيغ، وهو أحد إثنين، إما (مُحدِث للفتن) أو (مفسر يريد التفسير بهدف الرياء والسمعة والشهرة بين الناس، وليس لوجه الله) أو (مفسر أضله الشيطان ليضل الناس) وهذا أخطرهم لأنه يعتقد أنه على حق فيستميت في الدفاع عن آرائه وأفكاره وتفسيره ولا يقبل النقد ولا يعود للحق.
- تفسير المتشابه بطريقة صحيحة يحتاج (رسوخ في العلم) (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) ويحتاج (إيمان قوي) يقول عز وجل في سورة البقرة 2 – آية 282 (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ويحتاج (أن تعرف أن كل الأمور من الله) ويحتاج أن تتذكر ما علمنا إياه الله من الأمور المحكمة وما علمنا إياه عندما أخذ منا العهد والميثاق الغليظ.

- أعطى الله الإنسان النجدين أي إمكانية الإختيار بين النقيدين، فلك أن تختار بين الصواب والخطأ وبين الحلال والحرام وبين المباح والمكروه، هذا من عطاء الله.
- هذه المشيئة التي أعطاها الله للإنسان إنما تنطوي تحت مشيئة الله، فاذا منع الله أمراً عن عبده، فلا يمكن لهذا العبد القيام به، وأذا أوقع الله أمراً على العبد فلا يمكن لهذا العبد رفعه.
- عندما نستخدم مشيئتنا التي وهبنا الله إياها للقيام بعمل، وتتوافق هذه المشيئة مع مشيئة الله، فإن الله يخلق لك العمل (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)، فمشيئة الإنسان لا تعني القدرة ولا القوة ولا الحول ولا الإمكانية، فهذه كلها من الله، ولا تنسى أنك تقول عند كل آذان (لا حول ولا قوة إلا بالله)، يقول عز وجل في سورة الكهف 18 – آية 39 (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ).

كيف نستطيع أن نعرف أن للآية ظاهر وباطن

هناك قاعدتين أساسيتين نستطيع أن نميز من خلالهما ظاهر الآية عن باطنها:–

القاعدة الأولى: صفات الكمال لله عز وجل، وهي قاعدة بسيطة وسهلة، علينا من خلالها أن نعود للأساسات التي علمنا إياها عز وجل عن نفسه في أسمائه وصفاته والتي كلها مكتملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان، لنضرب مثلاً: السؤال (للنظر لقوله عز وجل في سورة الرعد 19 – آية 9 (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ) ونسأل أنفسنا أيهما أعظم في علم الله (الغيب) أم (الشهادة). ما سيتبادر لنا من الوهلة الأولى أن علم الغيب أعظم عند الله من العلم المشهود، ولكن بالعودة لقاعدة صفات الكمال لله، فإن هذا الفهم خطأ، فلا شيء أعظم من غيره عند الله، فلو قلنا أن علم الغيب أعظم عند الله، لقلنا أن الله يحتاج لطاقة أكبر أو قوة أكبر أو قدرة أكبر لمعرفة علم الغيب عن العلم المشهود، أي

انا ندخله عز وجل في دائرة الحاجة مما ينفي عنه الكمال، لذلك فإن علم الغيب وعلم الشهادة سيان عنده عز وجل، فلا فرق بين الماضي والحاضر والمستقبل عند الله، فهو يعلم الماضي ويرى الماضي كما يعلم ويرى الحاضر كما يرى ويعلم المستقبل.

القاعدة الثانية: أن كل ما عدا الله هو مخلوق من مخلوقاته عز وجل، ولا يحتاج عز وجل أي مخلوقاته، لا بل العكس صحيح، فكل مخلوقات الله تحتاج الله في كل لحظة من لحظات وجودها، ولو توقف عز وجل عن تدبير أمر أحد مخلوقاته ولو للحظة واحدة لهلكت هذا المخلوقات، وهذا ينطبق على السماوات والأرض وينطبق على كل مخلوقات الله يقول عز وجل في سورة فاطر 35 – آية 41 (إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)، وأهم مخلوقين من مخلوقات الله يتعلقان بموضوعنا هما (الزمان) و (المكان)، وبالأخص الزمان لأن فهم الناس للزمان أضعف من فهمهم للمكان. بمعنى أن الزمان مخلوق من مخلوقات الله وهو ضعيف ومحتاج لله، والله لا يحتاج الزمان في شيء، لنضرب مثالاً: في قوله عز وجل في سورة هود 11 – آية 7 (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)، السؤال (هل احتاج عز وجل ستة أيام ليخلق السماوات والأرض؟)، ظاهر الآية أن عملية الخلق تمت في ستة أيام، حتى أنه عز وجل فصل الأيام الستة في عدة مواقع من القرآن الكريم، يقول عز وجل في سورة فصلت 41 – آيات 9–13 (قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)، هذا هو الظاهر، ولكن الظاهر يتعارض مع

الأساسيات، أن الله لا يحتاج الزمن أي لا يحتاج الأيام ولا يحتاج الساعات ولا يحتاج الدقائق ولا يحتاج الثواني أو أجزاء الثواني ليقوم بما يريد، ما يحتاجه يظهر في قوله عز وجل سورة البقرة 2 – آية 117 (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، إذا فما هي هذه الأيام الستة المذكورة في خلق السماوات والارض، والجواب في قوله عز وجل (ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)، فقد خير عز وجل السماوات والأرض بالتشكل بأمره أم أن يجبرها جبراً، فإختارت طاعتها لله (أَتَيْنَا طَائِعِينَ)، والإتيان هنا للسماوات والأرض، فهما من احتاج الوقت لطاعة الله.

وسوف نتحدث في الحلقة القادمة – إن شاء الله – عن أمثلة أخرى تتعلق بالظاهر والباطن في تفسير القرآن الكريم، فإلى لقاء آخر بإذن الله.

اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا يا رب العالمين، اللهم علمنا ما ينفعنا وإنفعنا بما علمتنا، اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا إتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا إجتنابه، أللهم اعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم آتِ نفوسنا تقوها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

www.al-msjd-alaqsa.com

2,3

4,1